
قلب
يتكئ على
رائحة
شعر
مسعد محمد أبو ديغم

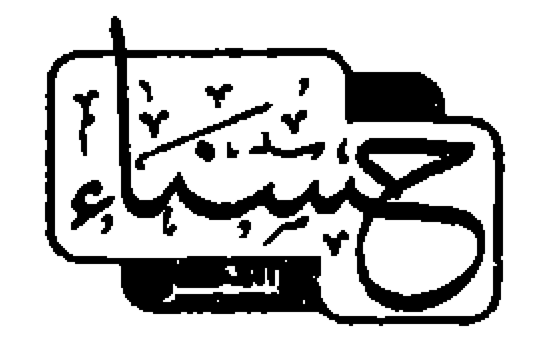
إهداء ٢٠١٦

دار حسناء

جمهورية مصر العربية

قلب يتكئ على رائحة

ديوى : 811
أبو ديغم ، مسعد محمد
وقالت مريم / مريم النقادي
الإسكندرية : حسناء للنشر
ط1 / 2015
93 ص ، 20 سم
تدمك : 978-977-85187-8-8
1- شعر
2- قلب يتكئ على رائحة
أ- مسعد محمد أبو ديغم
رقم الإيداع : 9474 / 2015



الإسكندرية ، ج . م . ع
01018831361
01022842898
المدير العام : عادل أبو الأنوار

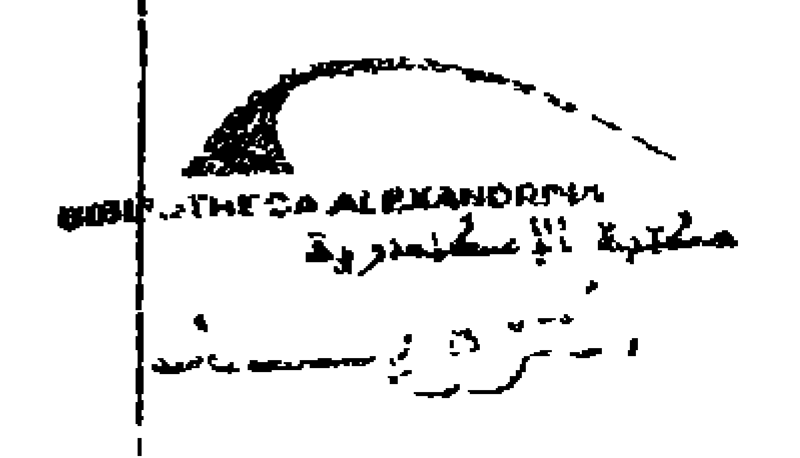
المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار

الإخراج الفنى : أمير مصطفى

قلب يتكئ على رائحة

شعر

مسعد محمد أبو ديغم



إهداء

إلى البحر .

من زرقته لونت روحى

على رمله رسمت أحلامى ...

التى جرفها الموج

الورقة الأولى

أيها العالمون ببواطن الأمور

الحاملون أختام الحقيقة

المانحون صكوك البراءة والإدانة

ماذا تقولون فى؟

وأنا الجلاد /الضحية

وأنا القاتل /المقتول.

فى الأدغال

كنت أصارع نمرا

أوشكت أن أجهز عليه فسألنى:

لماذا تريد أن تقتلنى؟!

لأصنع لحبيبتى معطفا

خلع لى جلده

وعلى شفتيه ابتسامة

من قلب العتمة

كانت تصرخ،

أشعلت قنديلى،

أخذت أبحث عنها..

فى ركن ناء من قلبى ..

كانت تحتضن صورتى القديمة وتبكى ،

تأملت وجهى طويلا ثم سألت:

من أنت؟!

أيها الجالسون على عتبات البيوت

ترقبون الحياة وهى تتمطى كل صباح

وترافقون الموت إلى مخدعه كل مساء

وتجدلون من الاحزان ضفيرة الحكايات

هل تعجبون من عاشق يبحث عن وجه حبيبته

بعضه يرافق الحياة/

بعضه يرافق الموت.

فيما مضى

كانت أرضي تلفظ

غرس الدم

ماذا جرى؟!

صارت أرضي لا تقبل

سوى

غرس الدم.

كيس الرمل المثقوب

أوشك على النفاد

شيدت منه مدنا ،وقلاعا

جرفها الموج

هل يكفى ما تبقى منه

كى أصير حمامة تحلق فى الفضاء؟!

منذ هجرتنى

لم تعد العصافير تقف على نافذتى

أنثر لها الحب كل صباح

فترقبه من بعيد

لم أكن أريد أن ألون صباحاتها بالعتمة

لكن لا مفر من أن أحكى لها

قصة الوتد العجوز

وكيف اقتلعته الرياح

فتهاوت كل الخيام

على الحافة أخطو وحيدا بقدمين حافيتين

ثمة من يتنازعنى يمينا /يسارا

لا أدرى الى متى سأظل أخطو وحيدا تتبعنى قطرات دمى

يسيل.

أعجب ما فى الأمر

تلك الحمامات البيضاء التى تطير إلى الفخاخ

بعيون مفتوحة

وحين تطبق عليها

تلمع عيونها وتستكين

و تمط أعناقها للذبح وهى ترفرف.

كل الورود التى أهديت لى بالأمس

كانت بلا رائحة

طوحت بها من شرفتى

أخرجت صندوقى القديم

أغرقت وجهى فى وردتك اليابسة

أخذت شهيقا طويلا

فامتلأ صدرى برائحتك.

هزمتنى الرياح

ولم يبق منى سوى شراع ممزق

ستعثرين عليه يوما

فقد صادقت الموج ومنحته رائحتى

وهمست له باسمك

حبيبتى

ضعيه تحت وسادتك

وسوف أبحر اليك كل ليلة.

قلبى صحراء

تلك الغيمات التى تجرينها خلفك

متى تهطل ؟!

من يصنع وحشا سيدتى

ويصفق لعروض السيرك المهترئ

لا ينتحب الآن

لا يذرف دمعا محترقا

فقط

يخمد آهاته بكأس دم

يمزجه بقطع اللحم المتناثرِ

كى يرقص منتشيا

و ينام قرير العين.

أغرانى الرطب الشهى فى أعلى النخلة

جدلت من خيبات عمرى حبلا خصرى

وصعدت...

مددت يدى

لم يكن هناك سوى حصرم!!

نسجت من أوردتى عشا لعصفور مقرور

كان يطوف الكون يحمل أسئلة حمقاء

يبحث عن أجوبة – أكثر حمقا–

يلتمس لحظة دفء كى يبسط أجنحته

يترصد قمرا مزهوا بالعشاق

ويواسى شمسا منتهكة كل صباح

وبمنقاره يلتقط القسوة ...

لكنه يبقى مرتجفا كل مساء

حتى أوردتى عجزت أن تدفئ عصفورا مقرورا .

الظل الأسود

ينشب حربته فى خاصرة الشمس

تتهاوى مضرجة فى دمائها

ويعم الظلام.

كعادتها كل مساء

حملت صندوقها وذهبت تلملم ما تبقى منهما

كان مزيجا غريبا

أشلاء لحم متناثرة

ثوبان ممزقان بلون الفجر

أثار أنياب بلون الغدر

بقايا شمس محبوسة نى الأحداق

ضحكة مشروخة على أطراف "الشفاه

حلم أخضر مدهوس بالأقدام.

جمعت ماتبقى ونثرت عليه عبير دموعها

أغلقت الصندوق

كتبت عليه اسميهما

(سندس وشيماء)

وضعت عليه ما تبقى من حلمهما الأخضر

ودفعته برفق ليعانق مياه النيل.

أضعت قلمك الذى أحسب به كسبى وخسارتى

لا تلومينى

أعترف انى لست تاجرا ماهرا

ماذا أفعل ولى وجه عنيد

لم تنطبق عليه

أيا من الأقنعة الزاهية.

أرتقى صوتك كى ألمس السماء

كم تبدو السماء قريبة

وأنت بعيدة .

هل بدوت اليوم مقتحما؟

لا تعلمين أننى شحذت كل أسلحتى

كى لا أنهار أمام حشود أنوثتك.

(فى الأحلام متسع لكل الأمنيات)

ليس صحيحا

فمازلت عصية على

حتى فى أحلامى.

لم يكن حلما

لا تخدعينى

ابدا لم تكن أحلامى بتلك الروعة

كيف ولون شفتيك مازال يصبغ عمرى؟

كيف ولهب شفتيك مازال يصهر حروف قصيدتى؟

كيف وهمس شفتيك مازال يحكى لى قصة الريح العجوز؟

كيف وأنا ابحث عن اسمى منذ سمعته من شفتيك؟

أخبرنى الرحيق أنه رآه يطير مع الفراشات

وأنا لا هم لى سوى صيد الفراشات.

نعم

أنا الذى أعبث بالأوراق

أنبش عن اسمى

فى كل الصفحات

أستجلى اقدارا" مجهولة

استنطق ماض عم كان

وما سيكون.

حين يباغتك العشق

على ناصية طريق

لا تهرب.....

عبثا" تفعل !

حتى لو أحصيت له

سنوات عمرك

الشيب المتناثر

فى مفرق رأسك.

حتى لو كشفت له عن قلبك

وأريته عدد الطعنات

فسينشب خنجره بصدرك

ينزع قلبك

وسيرسم خط الدم المتدفق

من شريانك

قدرك.

لم أضن عليه بشئ

نشرب فنجان قهوتى فى الصباح

قهوتى التى نضجت بنيران غربتى

و نسير كأخوين

نتشابك أيدينا ولا تفرغ حكاياته

وحين نجوع

نتقاسم خبزى الذى أهدتنيه الشمس

وفى المساء

أشاركه خمرى المعتق منذ الاف السنين

منذ نقعت قلبى فى إناء الوهم.

لم أجد لاسمى ذكر

فى أى الصفحات

فقط

سطر باهت

فى سفر النسيان.

دمى يسيل

لا مفر من الاعتراف..

نعم أخطأت

حين صادقت أسفلت المدينة

كثيرون حكوا لى عن قلبه الأسود

عن عين خادعتين

غرنى وجهه البائس

وجلده الأغبر المتشقق

بدا حزينا ووحيدا مثلى فرافقته.

حين رأيته يوما يبكى

لونت وجهى

وجعلت من نفسى بهلوانا

يتقافز كقرد أهوج

حتى غرق فى الضحك

وحين تقوس ظهره

كسرت أضلعى

لأصنع له حبيرة

حينها بات قلبى مكشوفا

فوثب ...ونهشه

وماذا كنت أفعل

ولم أجد غيره

يدلنى على رائحتك.

لم يبق وفيا" لى إلا هو

ظل عطوفا" سخيا

بسطته فراشا" فطاوعنى

وطويته وسادة فلم يمانع

نسلت منه خيوطا "

أرتق بها فتوق قلبى.

بنيت منه مدنا"

ليس بها ناطحات سحاب

لا وجوه عجائز متصابيات

لا أقبية معتمة

لا أشجار زينة

لا حبال يتراقص عليها الحواة.

غرسته شجيرات ورد

تمرح فى طرقات المدينة

وأطلقته بالونات زاهية

تسابق ضحكات الصغار.

قدحته شرارة عشق

تلمع فى عيون الصبايا

ورجفة شوق

تداعب نهودهن الفائرة.

كم أنا مدين لك

أيها الوهم الجميل.

هل أكشف سرا :

حين أقول

لا مأوى لى كل مساء

سوى عينيكى

أفرش بساطى بين جفنيكى

أتدثر برموشك.

فى الصباح

وقبل أن تفتحى عينيكى

ألملم أغراضى

وأتساقط زخات عطر

تبلل وسادتك.

وأنت...

مازلت تتساءلين:

كل صباح

من أين تأتي هذه الرائحة؟

حزين أنا

كغيمة وحيدة

ظلت ساهرة معي

ننتظرك

وحين لم تأت

بكت

فتفجرت البحار.

كذبت مرارا

وقلت بأنى: شمس ،وبحر

وجبل ترسو عليه

شرايين قلبك

حزين أنا

كشجرة عتيقة

تلقت طعنات عشاقها

في صمت

ولم يبق منها

سوى قلب محفور.

ما كنت الا

شهاب تمرد

فأحرقه عشقك...

فلم يبق منه / لم يبق منى

سوى

رماد تبدد

حين أفلحت الدنيا

أن تنطق كلمة

كانت اسمك

كتاب عمرى

صارت صفحاته

بيضاء

منذ التقيتك

لا ذكر لى

لا ذكر لك

فقط حرفان

ح ب

هل كانت حقا" تفاحة ؟

أم

رشفة سحر من شفتيك

كتبت بأنامنها

تاريخ عشق؟

حين تقولين: أحبك

تصمت كل الدنيا

تنصت...

تتهجى حروف الحب خلفك

تتأتئ ....تتعثر...تسقط

هل حبك لغة أخرى

غيرِ لغات البشر؟!

أمتطى صهوة الصباح

أدور فى الطرقات

حاملا" قلبى

كبوصلة

لا تدلنى عليك.

نعم

أنا الذى أعبث بالأوراق

أنبش عن اسمى

فى كل الصفحات

أستجلى أقداراً مجهولة

استنطق ماضٍ عم كان

وما سيكون.

لم أجد لإسمى ذكرُ

فى أىّ الصفحات

فقط

سطر باهت

فى سفر النسيان....

الورقة الثانيـة

لم يتسن لى الوصول إلى القمر فى زيارته الأخيرة

كان حوله زحام كثيف

ذوى الصدور المجوفة كانوا يتدافعون نحوه

وأنا

فى الخلف

أهتف باسم حبيبتى

ولا أدرى

هل سمعنى القمر ؟!!

ماذا كنت تنتظرين

من رجل أنهكه العشق؟!!

لم يبق منى سوى

عينان تلمعان

وقلب يتكئ على رائحتك.

لم ينسها يوما

كان يهدى إليها أنفاس الصباح

ويحمل قرص شمس رغيفا ساخنا إلى سريرها

يجمل المائدة بزهور النرجس

ويجلس أمامها

يحكى لها كيف كانت أياديهم النحيلة تكسر القضبان

ويسمعها أنين الرصاصة التي عانقت جبهته

في المساء..

دثرها بقميصه المبقع بدمه

فتراه يرفرف بجناحيه على نافذتها حتى الصباح.

حين بدأت المسابقة

كشفوا عن ظهرى

كان لوحة فريدة

بهرتهم كثيرا ..الأنهار التى شقها السوط

ووقفوا طويلا أمام الكثبان المتعرجة التى رسمها الكرباج،

واعترفوا من عيون الدم التى فجرتها الهراوات

مدوا أياديهم يلمسون شجيرات الصبار التى نبتت من

المسامير،

أما الحروف المتناثرة على الحواف بشتى اللغات فقد

حيرتهم طويلا

لكن ما أطار عقولهم

أسنانى التى تكظ على شفتى

صفقوا له طويلا...

أهدونى جائزة ..

عصفورا كنت أجوب الكون

في عنقى أسئلة الأزل

أهتك أستار الغيب بجناحى

أضرب رجلاى.. أغوص لسابع أرض

وبمنقارى أنهش أدمغة الحكماء

لكنى

ماحرت جوابا

فلجأت إلى وجه حبيبتى

ضحكت عيناها

فاهتز الكون..

انكشفت كل الأسرار.

الليل

القمر الساهر فى الدرب

عيون المصابيح الذابلة

الريح العجوز

الغيمات الباكيات

ينتظرن معى..

متى ستأتين؟!!

دعك من اليابسة

وانصب عرشك فوق الماء كما آلهة

أسند ظهرك للسماوات

أخرج من جعبتك كتابا

سطر اسمك،

وارسم وجه حبيبتك

هل يحدث ذلك فرقا؟!!

(مشهد)

الباب:

فوهة الهاوية تبتلع كل من يخرج

الخارج:

خيوط متشابكة تنسل من أطراف قميصي فأخلعه

الداخل:

حروف مبعثرة أحاول أن أكون منها اسم منذ ولدت

أنت:

أين أنت؟!!!

شاشات التلفاز مراكبنا إلى الجحيم

ليس هناك سوى غبارصدئ

احتل تجاعيد زمن مراوغ

لا يجلوه

إلا شريان دم نازف من قلب البراءة

وتمتمات الشفاه.

المحطات:

على الأرصفة نرقب قلوبنا وهى تغادر

تلوح لنا من خلف النوافذ كعصا ساحرة

فنصير تماثيل شمع

يصهرنا الانتظار..

ن

ذ

و

ب

حين غابت حبيبتي..... غاب

جلست على دكته

كان رأسي عاريا

بلا عمامة بيضاء.

على دكته الخشبية يجلس..

تنتظره الشمس لتفتح عينيها،

تبدأ يومها بمعابثته

تخطف عمامته البيضاء،

تنشرها غلالة من ضياء تلف السماء

يطلق (نحنحته) فيصمت الكون

تحبس العصافير أنفاسها

ينطلق صوته بموال العشق السرمدى

يحكى عن وجه حبيبتى.

من شهقته ينبت حنين..

من زفرته تتفجر البراكين.

حين عبرت إليك

لم يكن لدى خيار

سوى

أن أحرق الجسر

لا رجعة لى،

لا فرار منك

لا أدرى كيف تسربت الأيام من فرجات قلبى؟!!

وهذى الجسور التى فطمتنا عن العشق

من بناها؟!!

ماعدت أبحث عن رفيق،

ما عاد يعنيني الطريق

كل الدروب تشعبت.

حتى أنا

بعضى هنا/بعضى هناك

حتى الدليل

يأتى ضريرا

يتوكأ الأيام

ويطارد الزمن اللعوب.

فى غبشة الفجر يغوينى الطريق

لكننى

ماعدت أبحث عن رفيق.

حين غابت حبيبتى

ظلت عيناها معلقتين بالسماء

قنديلان فى مخدع الشمس

تهرع الشمس إليها فتلملهم رداءها القرمزى

تأوى إلى سريرها،

أطبق جفنيَ

فتهدينى حبيبتى الأحلام

تمنحنى ملكوتا أبدياً

تصيرنى إلهاً

لوشئت

لفجرت الأنهار

زلزلت الجبال

ومنحت الغفران.

لكنى

لم يكن يعنينى سوى

أن أحرر العصافير من شباك الغياب..

تتفتح الوجوه من براعم الزهور،

أرجع الضحكات للشوارع،للمآذن،للقباب،

أذوب فى أحضان حبيبتى حتى الصباح..

يصبر الغياب حتى تنهض الشمس من مخدعها

أفتح عينيَّ

فيقهقه ساخراً

نتبادل الأدوار..

إلى متى؟!

على فراش الوداع

أصررت على معرفة الجواب

قال لي: إنها الشمس العجوز

أتته تتوكأ على حزنها

تتساند على جدران السماء

لم يتردد

منحها عينيه

غادرنا

لم يسر خلفه

سوانا.

فيما مضى

كنت حداداً

النار والحديد رفيقىّ

فى زمن الحروب

كانوا يأمروننى أن أصنع الدروع للصدور

كى لا ينال العشق من الجنود

(لا وقت للعشق فى زمن الحروب)

هكذا يقولون

كان العشق نديمى

(وأنا لم أكن نديماً قط)

كان ينوى كظل يدهسونه بنعالهم

يذبل كوردة سئمت الإنتظار

تواطأت معه فصنعت فى الدروع

ثقباً من نور

ينفذ منه العشق إلى القلوب

الآن

يحاكموننى

مدعين أنى من جلبت الهزيمة.

حبيبتى...اعذرينى

لا رغبة لى فى دعوة القمر هذا المساء

أعلم أنك أعددت المائدة..

وضعت الزهور

جلست تنتظرين حكايات عن العشاق

هل تسألين : لماذا؟!!

بدا لى مختالاً فى زيارته الأخيرة

ألمح أن الكثيرين يخطبون وده

لم يرضه الثمن الذى ندفعه له من قلبينا.

حبيبتى

دعينا نشعل شمعة وحيدة

سوف تحكى لنا

عن إندلاع النار فى عشب القلوب

عن لون الحزن فى الجفون

عن أنين الناى

سوف تبوح لنا بسر البكاء

حبيبتى

ليس وقت القمر

إنه وقت البكاء.

لم أملك سوى صوتى

حين أطللت على الدنيا

أطلقت صرختى الأولى

أيقظت الحوت الغافى فى جوف البحر،

لم أتخيل يوما أننى سأراه هكذا

هو من كان الكون يأوى إلى جفنيه

كدت أجن

لم أتوقف عن السؤال

كان يبتسم

يمد يده..يتحسس وجهى بأنامله

يمسك بتلابيب روحى

يطلقها حمامة بيضاء

تحلق فى الفضاء.

فى ليلة باردة

بين صفير الريح ،واصطفاق النوافذ

استعرت نولك ليؤنسنى

شددت عليه خيوط أيامى

تبدلت الألوان

سمعت نشيج النول..

صارت الخيوط تنشد لحنا واحدا:

"أيامى قبلك ندم وأيامى بعدك عدمٍ"

أهذه قماشة عمرى؟!

في الغابة عشت طليقاً

يملأ صوتي فضاء الكون

أشرب من ضرع الشاة

أقفز فوق الحملان

أعشق كل فراشة تسلب قلبي

وأسابق الغزلان

أطلي بالورد سقف الكون

وأنام على العشب الحاني

لكن

صرخاتي كانت تفزع وحوش الغابة

أزعجهم أني لست كما ثعبان يغير جلده

أو كالحرباء أصبغ وجهي بالألوان.

نصبوا فخاخاً فى كل الأنحاء

جهلوا أنى منحت صوتى

للشاة

للحملان

الفراشات

للغزلان

للورد

والعشب الحانى

حين نالنى السهم أخيراً

غادرت

فانطلقت كل الصرخات.

القمر

يطرز بالدانتيلا حواف الليل،

الليل يلملم ثوبه..

يغلق بابه فى وجه الريح،

الريح الهاجعة تفتح عينيها..

تتمطى

ترسل للشجر الشاحب قبلة

الشجر العاشق ينتشى

يرقص رقصته الغجرية

وأنا

أشكو للقمر/

للّيل/

للريح/

للشجر..

من يرتق قلبى؟

أيها الهائم فى الملكوت تريث

..من أى مشكاة تصدر ، وبأى نار تصطلى؟

!معلق أنا بذيلك

فإلى أين نطير؟!

حين سألت الرب عن عينيك

كيف أمكنه

ان يلقى قطعة ليلٍ فى قرص الشمس؟

أن يبنى وسط الصحراء الرحبة سجناً؟

أن يبحر قارب ورقى عكس الشلال المتدفق؟

أن يبقى شعلة نارٍ تهتف فى وجه الريح ؟

أن يصنع للطفلة أرجوحة؟

للأنثى قارورة عطر؟

أجاب الرب بعد صمت

لا أنكر ..

أنى خلقت عينين كهاتين.

سريرنا المجعد

الملاءة التى تكورت لتلاحق عرقنا اللاهث

قميصك الوردى يهبط من سماوات

يلتقط أنفاسه على حافة السرير

الأباجورة الأرجوانية

تغمز لى وهى تتظاهر بنوم

اللهب المتصاعد من شفتيك وأنت تهمسين:

أحبك

أغنية الماء وهو يرقص على أوتار جسدك

بخار الماء العابق برائحتك

يشكل اسمك.

أرضية الحمام الماكرة لا تتشرب رذاذ الماء المتناثر

أجففه بقميصى

قارورة عطرك على شكل أنثى لا تشبهك

ثلاث شعرات كستنائيات فى مشطى

وآلاف القبل

كيف أدع كل ذلك وأخرج؟!

حين يفلح منقار الشمس الواهن

أن يحدث ثقباً فى قلب الليل

أترجل عن صهوة موتى

أطلق للخيل أعنتها

أحمل فوق الكتف صليباً

من عنقى يتدلى حبل ليف مضفور بعمرى

أخطو فوق الموج

أنصب فوق الرمل صليبى

أسند ظهرى للريح

وأنتظر.

لا علم لى بما جرى

كنت أجالس ظلى

ظل يشكو قسوتىَّ عليه ذكرنى :

أنه من أرجعنى طفلاً حين لفظنىَّ العمر

و علمنى القفز وشد الحبل

و كيفية كتابة حرف الهاء

وكيف أمده ضحكة ولحن غناء

وأنه من صيرنى أميراً

وظل يهرول خلفي كجرو يلعق ثوبى

وأنه من صار حذاءاً أنتعله.

حين تستعلى الشمس وتجلد ظهر الأرض

وأنه من يعلو هامات الأشجار

ويتقدمنى كمارد وقت الخطر

أومأت برأسى معترفاً فأضاف :

لكنك حين تأوى لمخدعك

تأخذها بأحضانك

وبغابة صدرك يمرح نهداها كطفلين

وبقسوة قلبك تحرقنى

تحرقنى بضغطة زر

فأصير رماداً

تذره أصابع قدميها

لا لوم علىَّ سأقتله.

هذا الظل الفاجر كيف يقول :

دعنى ألعب دورك

وتلعب دورى ؟!

تاجٌ يكلل رأسى

هل يعنى ذلك أنى ملك؟ !

قيدٌ يغل أطرافى

هل يعنى ذلك أنى رهين؟ !

وهذه الوردة المغروسة بقلبى

هل تعنى أنى عاشق؟!

حين تكونين أمامى

لا أملك نفسى

أخطف قبلتىّ وأجرى

الذكريات :

نافذة يتيمة فى جدار عمرى

أطل منها على مشهد وحيد

أنا وأنت

ماذا كنت تنتظرين
من رجل أنهكه العشق؟!!
لم يبق مني سوى
عينان تلمعان
وقلب يتكئ على رائحتك





غلاف: أمير مصطفى